دَلَالَةُ السَّاعَةِ فِي المَرْوِيَّاتِ الإِسْلَامِيَّةِ
فِي ضَوْءِ مَبْدَأِ عَدَمِ الإِفْتِرَاقِ

The Significance of Time in Islamic Narratives in Light of Inseparability Principle

أ.د. حسن عبد الغني الأسديّ

Dr. Hassan Abdulghani Al-Asadi

العراق/ جامعة كربلاء/ كلّية التربية للعلوم الإنسانية

iraq / University of Karbala / College of Education for Human Sciences

hjawad201421@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحْث:

يتضمن البناء البياني النظريّ لفهم القرآن الكريم مرحلتين، هما:

المرحلة الأولى: تَفْسِيرُ القُرآنِ بالقُرآنِ على وفق منهج المدوّنة المغلقة، وهي مرحلة الفهم الذاتيّ للقرآن. وهذه المرحلة ذات طبيعة لسانيّة نصيّة، وأعني بها رجوعها أو تمظهرها بدلالات لسانيّة في الإفراد والتركيب مع تفاعلات سياقيّة لغويّة.

المرحلة الثانيّة: مَبْدَأُ عَدَمِ الِافْتِرَاقِ، وهي مرحلة امتداد الدّلالات القرآنيّة إلى الإرث اللغويّ للعترة الطّاهرة، الإرث الذي سيرتبط لغويّا وموضوعيّا بالقرآن الكريم.

أي: إنّ الدّلالات التي يقدّمها القرآن الكريم في المرحلة الأولى يتمُّ استثمّارها والحفاظ عليها تحقيقًا لعدم الافتراق، لكن ننوّه ههنا إلى ما يمكن أنْ يترافق مع هذا الاستثمّار من أبعادٍ خطابيّةٍ، ودلالات عُليَا (المقاصد والغايَات) أي دخول اعتبارات زمنيّة وتاريخيّة ومقاميّة متغيّرة. وذلك بسبب الواقع البشريّ التاريخيّ لأئمة العترة وتكلّيفهم الإداريّ للمجتمع قرآنيّا، على شرط أن تكون صلة عدم الافتراق بيّنة لا تغيب.

لقد توصلنا في بحثنا القرآني الموسوم بـ(السَّاعَةُ فِي الْقُرآنِ الْكَرِيمِ دِراسَةٌ دَلالِيَّةٌ فِي ضَوْءِ مَنْهَجِ الْمُدَوَّنَةِ الْمُغْلَقَةِ) إلى أنّ لفظة السّاعة استعملت اسما للإمام المهديّ (عجل الله فرجه)؛ لذا كان بحثنا هنا محاولة لإظهار عدم افتراق أهل البيت عليهم السلام عن هذه الدلالة القرآنيّة. وفي هذا الصدد رصدنا طائفة مقتناة من الأحاديث المرويّة عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعن عترته الطّاهرة عليهم السلام ولا سيّما تلك التي ترد فيها لفظة السّاعة.. وقد وقفنا فيها على أحاديث صريحة وواضحة في إطلاق السّاعة على الإمام المهدي المنتظر (عجّل الله له الفرج).

الكلّمات المفتاحيّة: مَبْدَأُ عَدَمِ الِافْتِرَاقِ، منهج المدونة المغلقة، تفسير القرآن بالقرآن، الدلالة القرآنيّة، أهل البيت عليهم السلام.

Abstract

Theoretical understanding of the Holy Qur'an involves two stages:

The first stage focuses on interpreting the Qur'an using the Qur'an itself following a closed-corpus methodology and this stage represents the self-understanding of the holy Qur'an and it is of a textual linguistic nature, and by this, the researcher means that its recurrence through linguistic connotations in isolation and in composition, along with linguistic contexts.

The second stage includes the inseparability principle, which is the stage of extending the Qur'anic connotations to the linguistic heritage of Ahlul-Bayt, a heritage that will be linguistically and thematically linked to the Holy Qur'an. This means that the connotations presented by the Holy Qur'an in the first stage are utilized and preserved in order to achieve the inseparability. However, it should be noted here that the various dimensions of discourse and high-level implications (objectives and purposes) may accompany this utilization, and that means changing temporal, historical, and contextual considerations come into play. This is due to the historical human reality of the Imams and their administrative mandate over the community in a Qur'anic context, provided that the relationship of inseparability remains clear.

In a Qur'anic research titled "The Concept of Time in the Holy Qur'an: A Semantic Study in Light of the Closed-Corpus Method," we have concluded that the term alsa'ah (the time) was used as a reference to Imam Mehdi (may Allah hasten his reappearance). Hence this research is an endeavor to demonstrate that the Ahlul-Bayt peace be upon them are intricately connected to this Qur'anic reference.

In this regard, we have observed a collection of narrated hadiths about the Prophet and his pure progeny (peace be upon them), especially the ones which mention the term " alsa'ah ". And we found clear and explicit hadiths that attribute this term to the awaited Imam Mehdi (may Allah hasten his reappearance).

Keywords: Inseparability principle, closed-corpse methodology, interpreting the Qur'an using the Qur'an itself, the Qur'anic connotation, Ahlul-Bayt (peace be upon them)

مدخل: مَبْدَأُ عَدَمِ الاِفْتِرَاقِ:

مسار منهجيّ يمثّل المرحلة الثانية للمرحلة القرآنيّة الأولى القائمة على تفسير القرآن بالقرآن الذي سبق لنا اقتراح ضوابطه في ضوء منهج المدونة المغلقة. لتأتي بعده مرحلة العترة الطاهرة عليهم السلام في عدم افتراقها عن تلك الدلالات القرآنيّة.. إذ خصّ نبي الله الأكرم ﷺ عترته الطاهرة عليها السلام بخلافته وأنّ من يتمسك بالقرآن وبهذه العترة فلن يضل أبدا على ما هو مضمون حديث الثقلين..

وسعينا هذا يمثّل محاولةً لبناء تصوّر منهجي لحركة الثقلين كلّ في مساره على نحو أن يكون مستقلًا للقرآن الكريم وتابعًا منقادًا وغير مفترق عند العترة الطاهرة عيهم السلام.

لقد صرّحنا بهذا المبدأ المنهجيّ فيما سبق بتوجيه من محاولتنا للبحث عن الدلالة القرآنيّة وكنا قد ذهبنا إلى تبنّي منهج للدلالة القرآنيّة يستوحي خطوات مقنّنة على وفق تفسير القرآن بالقرآن، بحسب المدوّنة المغلقة التي زودتنا بتلك الخطوات المقنّنة لتقديم فهمٍ قرآنيّ للقرآن، وتأخذ بعين الاعتبار الهيأة التدوينيّة والاعتبار النّصيّ للقرآن الكريم. وقد تكفّلت طائفة من البحوث بتوضيح ذلك. وكان من جملة تلك البحوث ما وسمناه بـ(**السَّاعَةُ فِي الْقُرآنِ الْكَرِيمِ دِراسَةٌ دَلالِيَّةٌ فِي ضَوْءِ مَنْهَجِ الْمُدَوَّنَةِ الْمُغْلَقَةِ**) [1]. وكانت خلاصة ما توصلنا إليه فيه أنّه «يمكننا أنّ نجمل أوصاف الساعة كما يأتي: لا بدّ أنّها ستأتي في يوم ما لا يعلمه إلاّ الله تعالى، وهي من وعد الله جلّ جلاله القادم، وهي أمر الله تعالى الذي أخبر به الأمم

السّابقة. ومن سماتها الخاصّة: كونها من أمور الدنيا واتّصافها بالحركة من الإتيان والقيام بإظهار أمرها، وهي ممّا يمكن أن ينظر إليه بالعين، ما يستلزم كونها ممّا له كيان مادي يمكن رؤيته، فهي ليست زمنًا كما هو حال (يوم القيامة). مع اقترانها بأفعال دالّة على ربطها بالدّنيا لا غيرها كالأفعال: اقترب وكذّب ويستعجل وغيرها».

وعلى هذا ذهبنا إلى أنّ « السّاعة عَلَم دالّ على عاقل يكون على يديه الحساب والمُجازاة على الأرض. ولقد أظهر البحث تبايناً واضِحاً بين اللفظتين ساعة والسّاعة؛ فعلى حين بقيت (ساعة) قريبة من دلالتها اللغويّة بدلالتها على الزمن نرى أنّ الاستعمال القرآنيّ للفظة السّاعة قد انتقل إلى حقل آخر هو حقل العَلَميّة على العاقل، وهي انتقالة تطوريّة واضحة تشبه ما جرى لكثير من الألفاظ التي عرفت بالألفاظ الإسلاميّة. وكما هو معروف فإنّ الشّخص الذي تنطبق عليه هذه التّسمية أو العَلَميّة هو الإمام المهدي(عليه السّلام) وهو الذي بشّرت به السّنة النّبويّة، ويومه يوم لتحقّق العدل، لا بدّ منه آت لا محالة، كما هو صريح كثير من مرويات أبناء العامة والشّيعة في الملاحم والفتن وعلامات آخر الزمان، وليومه إرهاصات وأحوال تتوافق وما سردته الآيات المذكورة في هذا الفصل مع لفظة الساعة»[٢].

وإذا كنّا لم نحسم دلالة السّاعة على شخص ما عبر مواردها القرآنيّة، إلا أنّ السّمات الدلاليّة التي تزوّدنا بها موارد استعمالها في القرآن الكريم تذهب بنا إلى أنّ الساعة اسمٌ لشخصٍ ينتظر في قابل الزمان.. فالسّاعة دالة على شخص مرتبط بالله تعالى يأتي في المستقبل لإقامة القسط والعدل بعد أن تملأ الأرض ظلمًا وجورًا.

وهي صورة تقترب كثيرًا إلى « ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في النصّ على أنّ السّاعة هي الإمام المهدي عليه السّلام الذي وعد الله به، وهو حتم لابدّ واقع فيما يستقبل ووقت ظهوره لا يعلمه إلّا الله تعالى، وسيكون على يديه إقامة العدل والقضاء على الظلم والفساد» [٣].

ومنهجنا فيه وهو منهج المدونة المغلقة الذيّ يعتمد على استثمّار السياق اللغويّ الذي تتلبس به هذه اللفظة، وكانت البيئة التركيبيّة في هذا السياق عنصراً فاعلاً في إظهار دلالة السّاعة والسياق الذي يتمّ توظيفه ههنا «هو سياق تجاوزت مساحته المألوف في فهم السياق؛ فهو يشمل موارد الساعة مجتمعة؛ أي أنّ كلّ مورد يعكس سمات دلاليّة لهذه اللفظة ويتشارك مع الموارد الأخرى لإظهار سمات أخرى للفظة، ومجمل تلك الموارد هو الذي يقرر دلالة اللفظة قرآنيًا. ولقد كوّنت المصاحبات اللفظية للساعة، وعلاقاتها التركيبية جانبًا معتبرًا في الدلالة القرآنيّة لأن تلك المصاحبات والعلاقات تمثّل استجابة لما تمتلكه اللفظة من سمات»[٤]. وقد أطلقت على هذه السّياقات المتعاضدة (سياق المدوّنة) بالنّظر إلى المفهوم التدوينيّ الذي أطرحه في المنهج وانسجامه مع الهيأة التّدوينيّة لكتاب الله جل جلاله [٥].

من هذه النتيجة التي خرج بها البحث المذكور، يأتي المسار الثاني لتحقّق الدلالة القرآنيّة وامتدادها إلى خارج مدوّنتها الأولى، وهو مسار مَبْدَأُ عَدَمِ الِافْتِرَاقِ، المتمثّل بـ(المرويات عن رسول الله ﷺ وعن عترته الطّاهرة عليهم السلام. وهو المسار الذيّ دلّت على ضرورته طائفة من الأدلّة القرآنيّة.

إذ تذهب بنا الأدلّة إلى أنّه من الواجب أن يكون للاعتبارات اللغويّة القرآنيّة

هيمنة كما كانت الاعتبارات التشريعية والعقائديّة والأخلاقيّة، بل إنّ مخالفة تلك الاعتبارات قد يكون دليلا على مخالفة صاحبها للقرآن الكريم فلا ينطبق عليه مصداق لن يفترقا..

إنّ الذي دعانا إلى هذا المنهج والعمل به ما أظهرته طائفة من آيات القرآن الكريم، وما كان من مقتضيات وجود القرآن ومستلزماته المصاحبة من الهيمنة على كلّ كتاب، أو حديث؛ فالصّحيح ما صحّحه القرآن الكريم، والخطأ ما خطَّأه، فهو المعيار الذي من تمسك به نجى ومن تركه هوى. ومن هنا كان لا بدّ لنا من أنّ نستجلي حقيقة الهيمنة القرآنيّة على المرويّات الحديثيّة ومنها كلّام الأئمة من أهل البيت عليهم السّلام. وكانت النقطة التي انطلقنا منها في هذا المبدأ والبحث هي كون بعض الآيات القرآنيّة والأحاديث النبويّة قد نصت على تلازم القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام وأنّهما لن يفترقا فهو المعيار لتصحيح أفعالهم وأقوالهم، بل هو المعيار الدّالّ على أحقيتهم لأنْ يكونُوا قرآنًا ناطقًا: قولًا وفعلًا، فهم نظير القرآن الكريم الصامت. وإذا كان هذا التّلازم قد كان قائمًا بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام على صُعُدٍ عديدة منها: الأخلاقي والتربوي والعقائديّ والفقه، وغير ذلك ممّا جرى رصدها لدى المعنيين، إلا أنّنا ههنا بوضعنا هذا المبدأ نذهب إلى القول بأنّ التلازم قد يشمل حقلًا آخر من الحقول العلمية، يتقوّم بجانبه اللغويّ ولاسيّما القسم الدلاليّ المتعلّق بالمحافظة على الدلالة القرآنيّة لما يستعملونه من الألفاظ القرآنيّة، وأنّه لا ينبغي لهم أن يستعملوا اللفظة القرآنيّة بغير دلالتها في القرآن، وإلّا كان هذا اختلافا ومفارقة للقرآن الكريم.

يعبّر (مَبْدَأُ عَدَمِ الِافْتِرَاقِ) الذي يقوم البحث في ضوئه على الحديث المعروف بـ(حديث الثقلين). وهذا الحديث من الأحاديث التي اتفق المسلمون على صحته وروايته؛ قال ابن كثير: «**قد ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَسَلَّمَ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ بغَدِير خُمّ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي، وَإِنَّهُمَا لَن يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**»[٦].

فكانت رؤيتنا أنّ عمدنا إلى بناء تصور منهجيّ يعمل على توظيف مفهوم حديث الثقلين باتّجاه لغويّ ودلاليّ، لمرحلة تالية لتفسير القرآن الكريم...فبعد تحصيل الدلالات القرآنيّة عبر منهج المدوّنة المغلقة تأتي وظيفة أهل البيت وعدل القرآن عليهم السلام، بعدم افتراقهم عن نتائجه.

وعلى هذا يلزم معرفتهم بكلّ جوانبه، لا يسبقهم إلى ذلك سابق خلا جدّهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ومن هنا سيكون الجانب اللغويّ وتحديدًا (دلالة الألفاظ القرآنيّة) من المستويات التي لن يفترق فيها أهل البيت عليهم السلام عن القرآن الكريم، ويكون ذلك بالإبقاء على دلالة تلك الألفاظ عند استعمالهم لها في أحاديثهم. وعلى هذا فالرسول الأكرم ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام يتوسّمون معالم المدوّنة الإلهية في كلّ جانب من جوانبها العقائدية والتشريعية، والأخلاقية، وكذا جوانبها اللغويّة- وتحديداً دلالة الألفاظ التي يقوم عليها فهم الجوانب السابقة- فالألفاظ القرآنيّة التي في كلّامهم هي بالدلالة عينها التي جاءت بها في القرآن، وهم لن يخرجوا عن هذا الاستعمال.

مَبْدَأُ عَدَمِ الِافْتِرَاقِ (مُسَوِّغَاتُ الطَّرْح):

يستند القول بهذا المبدأ في الأصل إلى حديث الثقلين كما تقدّم ذكره ... لكن لا يخفى على أنّ الأصل القرآني سابق في وضع المرحلتين من الفهم والإجراء القرآني؛ فلو تأمّلنا في الآيتين الآتيتين لظهر لنا أنّنا بصدد مرحلتين من فهم القرآن تتخذ الأولى طابع البيان الذاتي للقرآن عن نفسه ومراده وتتخذ الثانية طابع الإجراء التنفيذي الذي يعمد إلى هذا الأصل القرآني ليبني له منه دلالات كبرى ومقاصد وغايات تدخل في صميم الإدارة لحياة الأفراد في المجتمع الإسلامي والآيتان هما:

﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا ۞ وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ {النساء/ ٨٢-٨٣}.

فعلى حين أسست آية التدبّر رؤية المدوّنة المغلقة والتفسير الذاتي للقرآن الكريم، أتت الآية (٨٣) لتستمد منها رؤية ضابطة لتوليد دلالات تأويليّة (دلالات كبرى للآيات والسور ودلالات المقاصد والخطاب). لكنّها لا يمكن أن تكون إلا مستمدة من الدلالات اللسانية النصيّة التي صنعتها السياقات القرآنيّة الداخلية.

إنّ هذا الارتباط ضروريّ للحكم بتبعية هذه المرحلة وأصحابها للقرآن ومن ثمّ ضرورة القبول بهم والرجوع إلى أقوالهم والاستنان بسنتهم وسنّة جدّهم (صلوات الله عليه وآله). ونستحضر في ضرورة هذا الارتباط الآيات من قوله تعالى:

= ﴿...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ {الحشر/ ٧}

= ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى*وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ {النجم/ ٢-٥}

ثمّ حديث الثقلين والأحاديث المساندة له كحديث الغدير والإنذار يوم الدار وحديث مدينة العلم وكثير من الأحاديث .

وقد ارتأيت تسمية (مَبْدَأ عَدَمِ الِافْتِرَاقِ) للتأكيد على كونه القاعدة في القول بأنّ ما يصدر عنهم عليهم السلام ينبغي أن يكون له ما يؤيده ويصدقه في القرآن الكريم، ففي مجال الدلالات اللسانية الظاهرة المفردة منها كدلالة الألفاظ والمركبة كدلالات التراكيب والأساليب تجب الموافقة تمامًا معها، فهي كـ « مبادئ العلم أو الفن أو الخلق أو الدستور أو القانون قواعده الأساسية التي يقوم عليها ولا يخرج عنها»[٧].. أمّا في مجال الدّلالات الكبرى (المقاصد والغايات) والتّأويل يجب أن تمتلك تلك الدلالات خصيصة تؤيدها الدّلالات القرآنيّة الأولى.. وإن لم تكن مطابقة لها كلّ التّطابق؛ إذ إنّ هذه الدّلالات الكبرى غير ظاهرة ولا مدركة من المستوى الأول.

المبحث الأول: السّاعة في أحاديث رسول الله ﷺ:

تظهر دلالة لفظة الساعة في السّنة النبوية المباركة سواء في ذلك كلّام رسول الله ﷺ وكلّام الأئمة من عترته الطاهرين في مسارين هما:

أوّلاً- أحاديث تفسّر الآيات التي ورد فيها ذكر الساعة أو أحالت إليها؛ وفي هذه الأحاديث نجد مجموعة منها قد نصّت على أنّ الساعة هي الإمام المهدي عجل الله فرجه الموعودة به هذه الأمة الذي سيقوم في آخر الزمان ولهذا فمن أسمائه القائم[٨]. وهي لفظة ظهرت مع الساعة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً﴾{الكهف:٣٦} وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾{فصلت٥٠}.

ثانياً- أحاديث توجهت نحو ذكر مجموعة من الحوادث المستقبلية والفتن والملاحم والأحوال التي سيصل إليها المجتمع المسلم أو غيره من المجتمعات في قابل الأيام ممّا عدّ من شرائط الساعة وعلامات اقتراب موعدها، وتأتي فيها لفظة الساعة دون التصريح بحقيقتها، وهي أحاديث كثيرة. ويلحظ أنّ بعض تلك الأحاديث تورد هذه اللفظة على نحو كأنّ المخاطبين على معرفة بالساعة. ويبدو من بعض الأخبار أنّ أهل الجاهلية كانوا على معرفة بأمرها، وهم يخشون من حلولها، ولا سيّما عند حدوث بعض الأهوال الكونية.

وهنا لا بدّ من التذكير بالناحية المنهجية المعتمدة في مسارات البحث، إذ يأتي المسار الثاني الذي اصطلحت عليه (مَبْدَأ عَدَمِ الِافْتِرَاقِ) المذكور آنفا لتوظيفه توظيفاً إجرائيّاً للكشف الدلاليّ لألفاظ القرآن الكريم الواردة في السُّنة المباركة؛ التي يجب أن تتوافق مع الدلالة القرآنيّة، ولا يمكن أن تكون بدلالة أخرى؛ لأنّ في ذلك افتراقاً عن القرآن الكريم، وهو أمر لا يمكن أن يحدث بحسب المبدأ (المنهجي) المشار إليه وهو (مَبْدَأُ عَدَمِ الِافْتِرَاقِ).

وفي هذا الطرح للعلاقة الدلاليّة بين مستويي الكلّام الإلهي والنبوي تطبيقًا فاعلًا وعمليًّا لما عرف لدى علماء المسلمين عامة بعرض الأحاديث على القرآن الكريم؛ فيقبل منها مع توافق محتواه مع ما في القرآن؛ بمعنى أدّق أن تكون الأحاديث منسجمة انسجامًا دلاليًّا مع القرآن، وعلى نحوٍ خاصّ فإنّ الأحاديث التي استعملت فيها لفظة من ألفاظ القرآن يجب أن تكون تلك اللفظة بدلالتها القرآنيّة، لا مجرد كونها مشاركة للقرآن بالمعاني العامة التي تمّ فهمها بطرائق متعددة.

أوّلا: الساعة تملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً:

جاء في تفسير القمّي من حديث عبد الله بن العباس عن رسوله الله ﷺ حديث طويل عن أشراط الساعة الواردة في تفسير قوله تعالى:﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا الساعة أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ (محمد١٨) قوله:» قال حججنا مع رسول الله ﷺ حجة الوداع فأخذ بحلقة باب الكعبة ثمّ أقبل علينا بوجهه فقال: ألا أخبركم بأشراط الساعة؟ وكان أدنى الناس منه يومئذ سلمان رحمة الله عليه، فقال بلى يا رسول الله! فقال صلّى الله عليه وآله:

إنّ من أشراط القيامة [٩] إضاعة الصلوات واتّباع الشهوات، والميل إلى الأهواء وتعظيم أصحاب المال، وبيع الدّين بالدّنيا، فعندها يذوب قلب المؤمن في جوفه كما يُذاب الملح في الماء ممّا يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره. قال سلمان وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان! إنّ عندها يليهم أمراء جورة ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وأمناء خونة. فقال سلمان: وانّ هذا لكائن يا رسول الله! قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده يا سلمان إنّ عندها يكون المنكر معروفا والمعروف منكرا، ويؤتمن الخائن، ويخون الأمين، ويصدق الكاذب، ويكذب الصادق. قال سلمان وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال ﷺ: إي والذي نفسي بيده يا سلمان! فعندها تكون إمارة النساء ومشاورة الإماء وقعود الصبيان على المنابر ويكون الكذب ظرفًا، والزكاة مغرمًا، والفيء مغنمًا ويجفو الرجل والديه ويبر صديقه، ويطلع الكوكب المذنب، قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة، ويكون المطر قيظًا ويغيظ الكرام غيظًا ويحتقر الرجل المعسر فعندها تقارب الأسواق إذ قال هذا لم أبعْ شيئًا؛ وقال هذا لم أربح شيئًا فلا ترى إلاّ ذامًّا لله، قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟

قال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان! فعندها يليهم أقوام إن تكلّموا قتلوهم وإن سكتوا استباحوا حقهم؛ ليستأثرون أنفسهم بفيئهم وليطؤُنَّ حرمتهم وليسفكُنَّ دماءهم وليملأُن قلوبهم دغلا ورعبا، فلا تراهم إلّا وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين...

فقال: إي والذي نفسي بيده يا سلمان! إنّ عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس وتحلّى المصاحف، وتطول المنارات وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة وألسن مختلفة. قال سلمان: وان هذا لكائن يا رسول الله؟

وهكذا يأتي هذا الحديث على ذكر تفصيلات متعدّدة تظهر كيف سينتشر الفساد ويعمّ كلّ شيء، ممّا يثير العجب ممّا سيصل إليه الناس من عملهم بالرّبا والرُّشى وكثرة الطّلاق، فلا يقام لله حدٌّ وظهور القينات والمعازف ويليهم أشرار أمتي، يقول ﷺ: (وعندها تحجّ أغنياء أمتي للنزهة، وتحج أوساطها للتجارة وتحجُّ فقراؤهم للرّياء والسّمعة فعندها يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله ويتخذونه مزامير، ويكون أقوام يتفقهون لغير الله وتكثر أولاد الزنا، ويتغنون بالقرآن، ويتهافتون)[١٠].

كما يظهر فإنّ هذه الأحوال ممّا تدخل تحت شيوع الفساد وانتشاره في الأرض وبين المسلمين وأكثر هذه الأحوال ذكرت قبيل ظهور الإمام المهديّ عليه السلام، بأحاديث كثيرة وهي تظهر البلاء والتمحيص الذي يمرّ به المؤمنون. إنّ طغيان الفساد هذا يحيلنا إلى قوله تعالى في سورة الروم المباركة:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ۞ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ {الروم/ ٤١-٤٢}

بعد هاتين الآيتين الكريمتين يذكر الله تعالى إنّه سيتكفل بثواب المصلحين

ثانيًا: الساعة في الصحاح والسنن:

ذكر أصحاب الصّحاح والسّنن طائفةً واسعةً من الأحاديث التي تربط بعض الأحداث بالساعة أو تخوّف من حلولها على شاكلّة الحديث المذكور آنفا منها:

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ - وَهُوَ القَتْلُ القَتْلُ - حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ»(١٣)

٢. أبو هريرة، قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ، فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ لِي» (١٤).

٣. عن رسول الله (ﷺ) قال: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المَالُ، حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»(١٥).

٤. عن أبي هريرة: عن رسول الله (ﷺ) قال: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا اليَهُودَ، حَتَّى يَقُولَ الحَجَرُ وَرَاءَهُ اليَهُودِيُّ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ»(١٦).

٥. عن أبي هريرة عن النبي (ﷺ) قال: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتَتِلَ فِئَتَانِ فَيَكُونَ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ

وبعقاب الكافرين ثمّ يذكّرهم بآيات رحمته من الرياح وجريان الفلك والسحاب وكيف يحيي الله تعإلى الأرض بعد موتها.. ثمّ يأتي على ذكر يوم الساعة وهي المهدي عليه السلام فيقول: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ {الروم/ ٥٥} فبعد أربعة عشر آية من ظهر الفساد يأتي قيام الساعة ليعلن عاقبة المجرمين الذي يواصلون فسادهم ليقسموا هذا القسم الكاذب.

يضاف إلى ذلك أنّ أشهر نصّ في المرويات الإسلاميّة عموما عند ذكر الإمام المهدي عجل الله فرجه أو تكنّي عنه تذكر أنّ ظهوره سيكون بعد أن تملأ الأرض ظلما وجورًا فيظهر الإمام ليملأها قسطًا وعدلاً. جاء «عن ابن عبّاس عن رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ عليّ بن أبي طالب إمام أمّتي، وخليفتي عليهم بعدي، ومن ولده القائم المهديّ المنتظر الّذي يملأ الله عزّوجلّ به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلما، والّذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر. فقام إليه جابر بن عبدالله الأنصاري وقال: يا رسول الله وللقائم من ولدك غيبة؟ فقال: إي وربّي ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ {آل عمران/ ١٤١}»[١١].

وذكر أحمد بن حنبل: «عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أبشركم بالمهديّ، يبعث في أمّتي على اختلافٍ من النّاس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السّماء وساكن الأرض، يقسّم المال صحاحاً»[١٢].

كَذَّابُونَ، قَرِيبًا مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ»[١٧].

٦. أبو هريرة عن رسول الله ﷺ: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ: {لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ} [الأنعام: ١٥٨] »[١٨].

٧. عن حذيفة رضي الله عنه قال: «لَقَدْ خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ خُطْبَةً، مَا تَرَكَ فِيهَا شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ، فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ»[١٩].

وأورد مسلم في صحيحه وأحمد بن حنبل في مسنده طائفة واسعة من الأحاديث التي تذكر فيها السّاعة، نذكر منها ما يأتي:

٨. عَنْ أَبِي هُرَيْرَة، أَنّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا، وَحَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الْقَتْلُ، الْقَتْلُ»[٢٠].

٩. «عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ، اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: مَا تَذْكُرُونَ؟ قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوا عَشْرَ آيَاتٍ: الدُّخَانُ، وَالدَّجَّالُ، والدَّابَّةُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَأْجُوجُ، وَمَأْجُوجُ، وَثَلاَثُ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وخَسْفٌ

بِالْمَغْرِبِ، وخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قِبَلِ (.....) تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ»[٢١].

١٠. عن جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عنه ﷺ: «سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، عَشِيَّةَ رَجْمِ الأَسْلَمِيِّ يَقُولُ: لاَ يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ يَكُونَ عَلَيْكُمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ. وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: عُصْبَةُ الْمُسْلِمِينَ يَفْتَتِحُونَ الْبَيْتَ الأَبْيَضَ، بَيْتَ كِسْرَى وَآلِ كِسْرَى. وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ كَذَّابِينَ فَاحْذَرُوهُمْ»[٢٢].

فمن الواضح الربط بين قيام الساعة والاثني عشر إمامًا أو خليفةً مع ما سيكون من كَذَّابِينَ قبيل الثاني عشر.. ومن المثير أن تظهر تسمية «البيت الأبيض» وهي إحدى أكثر الكلّمات تداولًا في زمننا هذا، فهي من المصطلحات السياسيّة الإمبريالية البارزة، تحمل معها كلّ جبروت الإدارات الأمريكيّة التي تتخذ من هذا البيت مقرًا لعملها منذ بروزها بوصفها الدولة العظمى المتّجهة نحو نشر الفساد والحروب والقتل والتشريد والقضاء على كلّ أمل لشعوب العالم ولا سيّما الإسلاميّة في حياة كريمة. ويبدو لي أنّ قول النبي ﷺ ينتهي بقوله يفتحون البيت الأبيض.. وإنّ ما أعقبه ليس من كلّامه. ولا وجه لتعلّق البيت الأبيض بكسرى وهو في آخر الزمان..

١. «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: يَحْسِرُ الْفُرَاتُ، عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ: لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَيَقْتَتِلَ

عَلَيْهِ النَّاسُ، فَيُقْتَلَ مِنْ كُلِّ مِئَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، يَا بُنَيَّ، فَإِنْ أَدْرَكْتَهُ، فَلاَ تَكُونَنَّ مِمَّنْ يُقَاتِلُ عَلَيْهِ»[٢٣].

٢. « حَدَّثَنَا عَاصِمٌ، عَنْ زِرٍّ، عَنْ عَبْدِ الله، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلِيَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»[٢٤].

علّق على الحديث المحقّق شعيب الأرناؤوط بقوله: إسناده حسن، وقد ذكر الكتاني في نظم المتناثر أحاديث خروج المهدي عن عشرين صحابيا ثمّ قال وقد نقل غير واحد عن الحافظ السخاوي أنّها متواترة والسخاوي ذكر ذلك في فتح المغيث ونقله عن أبي الحسن الآبري»[٢٥].

وقد ورد في الفتن والملاحم استعمال الساعة في أحاديث كثيرة، وقد سبق أنّ قلنا إنّ ما يذكر معها يذكر في مواضع أخرى من علامات ظهور الإمام المهديّ عليه السلام فلا شكّ في أنّ الساعة هي اسمه القرآنيّ:

٣. عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِّ السَّاعَةِ لَهَرْجًا» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ وَالْكَذِبُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، قَتْلٌ أَكْثَرُ مِمَّا يَقْتُلُ الْآنَ مِنَ الْكُفَّارِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمْ لِلْكُفَّارِ، وَلَكِنْ يَقْتُلُ الرَّجُلُ جَدَّهُ وَأَخَاهُ وَابْنَ عَمِّهِ»[٢٦].

٤. «عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقُومَ عَلَى النَّاسِ مَنْ لَا يَزِنُ قَرْن شَعِيرَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢٧].

فمن الواضح أنّ الصّحابي الجليل حذيفة بن اليمان يدرك جيداً بأنّ الساعة شيء والقيامة شيء آخر، وأنّ السّاعة تكون قبل يوم القيامة.

٥. «عَنْ حَفْصَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِنَاسٍ يَأْتُونَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ أُولُو دَهَاءٍ، يَعْجَبُ النَّاسُ مِنْ زِيِّهِمْ فَقَدْ أَظَلَّتْكُمُ السَّاعَةُ»[٢٨].

هناك أحاديث كثيرة تتكلّم عن قوم من المشرق سيعيدون الناس إلى الدين، وهناك جيش سينصر الإمام المهدي هو جيش الخراساني قادم من المشرق وفي بعض الأخبار أنّه سينصب راياته في إيليا أي القدس وأنّ في الطلقان كنزا من الرجال الأشداء.

٦. «عَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ ﴿حم ۞ عسق﴾ {الشورى١-٢} وَعُمَرُ، وَعَلِيٌّ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُضُورٌ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: الْعَيْنُ عَذَابٌ، وَالسِّينُ السَّنَةُ وَالْمَجَاعَةُ، وَالْقَافُ قَوْمٌ يُقْذَفُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مِمَّنْ هُمْ؟ قَالَ: مِنْ ولدِ الْعَبَّاسِ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا الزَّوْرَاءُ، وَتُقْتَلُ فِيهَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[٢٩].

إنّ ذكر ولد العباس يأتي أيضًا في سياق علامة مهمة من علامات ظهور الإمام وهي علامة اختلاف بني فلان، ومن التسميات التي تتداخل مع هذه التسمية (ولد العباس).. واختلافهم شرط أساس في ظهور الإمام كما بيّنا ذلك مفصلا في كتابنا (سقوط الفخارة فرج لأمة محمد ﷺ وقد ظهر اقتران كلّ ذلك بالسّاعة وبالآية (٦٦) وما بعدها من سورة الزخرف المباركة [٣٠].

٧. «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: « يُنَادِي مُنَادٍ مِنْ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ، فَيَسْمَعُهُ الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ »[٣١].

٨. «عَنْ حَفْصَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِنَاسٍ يَأْتُونَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ أُولُو دَهَاءٍ، يَعْجَبُ النَّاسُ مِنْ زِيِّهِمْ فَقَدْ أَظَلَّتْكُمُ السَّاعَةُ»[٣٢].

٩. « عن عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ، سَمِعَ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو، يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ تُوضَعَ الْأَخْيَارُ، وَتُرْفَعَ الْأَشْرَارُ، وَيَسُودَ كُلَّ قَوْمٍ مُنَافِقُوهُمْ»[٣٣].

فمن الواضح أنّ كلّ حديث من هذه الأحاديث له نظائر متعددة تدرج الأحداث فيه بوصفها من علامات الظهور السابقة أو المترافقة، وقد كانت الآيات القرآنيّة عند إيراد لفظة الساعة متوجهةً في أغلبها ضد المفسدين وهذا الذي نراه في هذه الأحاديث بذكر الفساد والفاسدين ثمّ تقوم الساعة بل قد كثر في الروايات ذكر (لا تقوم الساعة حتّى...) ولو تتبعناها لوجدنا العشرات منها.

وعمومًا فإنّ الإطار الذي يرسم لقيام الساعة هو القضاء على الفساد وهو ما ظهر في هذه الأحاديث وفي بحثنا الأساس المتعلق بالساعة في القرآن الكريم.. لكننا نجد أنّ بعض المرويات الذي يظهر فيها أنّ من سيبقى هم شرار الناس كما في الحديث: «لاَ تَقُومُ الساعة عَلَى أَحَدٍ يقُولُ الله الله وَلاَ تقومُ إِلاَّ على شِرَارِ الناس»[٣٥]. والحق أنّها نهاية مأساوية للمشروع الإلهيّ المخطط له إلهيّا وهي نهاية

تتفق مع الرغبة الشيطانية في الانتصار على آدم وذريته.

ويبدو أنّه في خضم هذه الدلالة للساعة لم يعدّ أمر الإمام المهديّ عجل الله فرجه يعني الكثيرين، ولعلّ هذا الأمر كان من جملة الأسباب التي ألقت بظلالها على قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه والانتظار، لتكون في تلك الزاوية الضيقة التي يفهمها كثير من المسلمين؛ وهي أنّ ظهوره هو نهاية للدنيا، وإنّ هناك كمّا من المآسي والأهوال بانتظار الجمع.. مع أنّ أصل المشروع هو العدل وتحقيق القسط.

ثمّ إنّ الأخذ بمقولة من يرى أنّ الساعة هي يوم القيامة وأنّها تقوم على شرار الخلق وقبلها يضرب الفساد بأطنابه فيه مخالفة صريحة للآيات القرآنيّة من نحو قوله تعالى:

=﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾{الصف ٨-٩}

=﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ {القصص٥}

ثمّ إنّ المهلة الإلهية للشيطان الرجيم ستنتهي عند ذلك فيتحقّق المراد بها، على عكس ما لو قلنا بأنّ الساعة هي القيامة، فلا تتحقّق المهلة، قال تعالى:

= ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ۞ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۞ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۞ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ {ص٧٨-٨٣}.

سيكون الأمر مختلفًا حتما لو نظرنا إلى أنّ الساعة ليست القيامة بل هي الإمام المهدي الذي سيُحقق الله تعالى به وعده للمستضعفين، ووعيده للمجرمين. وممّا ندلّل به على أنّ قيام الساعة متوجّه نحو الوقوف بوجه الأشرار وستكون وقتا شديد الوطأة عليهم ما ورد في أربعة موارد بقوله تعالى:

١. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ*وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ۞ وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ (الروم١٢-١٤).

٢. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ (الروم ٥٥).

٣. ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر٤٦).

٤. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ الساعة يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ (الجاثية٢٧).

ممّا تقدّم يتّضح أنّ الأحاديث النبوية وأحاديث أهل البيت عليهم السلام اشتملت على طائفة واسعة من أخبار الملاحم والفتن، ممّا سيجري في آخر الزمان، ومنها ذكرهم لخليفة في آخر الزمان يقيم العدل ويعطي المال ويقيم الإسلام ولا يتسع المقام لإيراد تفصيلات كثيرة تدعم أنّ الساعة هي الإمام المهدي عجل الله فرجه وليست يوم القيامة.

المبحث الثاني: السّاعة في أحاديث أهل البيت (عليهم السّلام):

لقد ذكرنا أنّ الدلالة القرآنيّة للفظة الساعة يقصد بها الإمام المهديّ عجّل الله فرجه، وبحسب فرضية (مَبْدَأ عَدَمِ الِافْتِرَاقِ) التي تقول: إنّ العترة لن تختلف عن استعمالات القرآن وستحافظ على دلالاته في كلّامه ولا سيّما الدلالات في المستوى اللساني الظاهر. وسنقف على طائفة من أحاديث العترة الطاهرة تنصُّ صراحة على ذلك وبعضها تقاربه:

١- قال تعالى:﴿ حتّى إِذَا رَأَوا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا العَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعلَمُونَ مَن هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضعَفُ جُنداً ۞ وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهتَدَوا هُدَى﴾(مريم١٩) عن الإمام الصادق عليه السلام ـ في حديث ـ أنّه قال: « **حتَّى إِذَا رَأَوا مَا يُوعَدُونَ** (فهو خروج القائم، وهو الساعة، فسيعلمون ذلك اليوم ما نزل بهم من الله على يدى قائمه، فذلك قوله: **(مَن هُوَ شَرٌّ مَكَاناً**) يعني عند القائم(**وَأَضعَفُ جُنداً**) يزيدهم ذلك اليوم هدى على هدى باتّباعهم القائم حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه، **(وَيَزِيدُ الله الَّذِينَ اهتَدَوا هُدَى)** يزيدهم ذلك اليوم هدى على هدى باتباعهم القائم حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه)»[٣٤].

٢- قول الإمام الصادق عليه السلام، وقد سأله بعض أصحابه، وهو المفضّل بن عمر: « قال: سألت سيدي الصادق عليه السلام هل للمأمول المنتظر المهدي عليه السلام من وقت مؤقّت يعلمه الناس؟ فقال حاش لله أن يوقّت ظهوره بوقت يعلمه شيعتنا! قلت: يا سيدي، ولم ذاك؟ قال لأنّه هو الساعة التي قال الله تعالى:﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ﴾(الأعراف:١٨٦)، وهو الساعة التي قال الله تعالى:﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الساعة أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ (النازعات:٤٢)، وقال: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ الساعة﴾ (لقمان:٣٤ والزخرف:٦١) ولم يقل أنّها عند أحد وقال:﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا الساعة أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا...﴾(محمد:١٨)، وقال:﴿اقْتَرَبَتِ الساعة وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ (القمر:١)[٣٥] وقال:﴿مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ الساعة قَرِيبٌ ۞ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي الساعة لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (الشورى ١٧و١٨) قلت فما معنى يمارون قال يقولون: متى ولد؟ ومن رآه؟ وأين يكون؟ ومتى يظهر؟ وكلّ ذلك استعجالا لأمر الله وشكًا في قضائه ودخولًا في قدرته؛ أولئك الذين خسروا الدنيا وأنّ للكافرين لشر مآب! قلت: أفلا يوقّت له وقت؟ فقال: يا مفضل لا أوّقت له وقتا، ولا يوقِّت له وقت. إنّ من وقَّت لمهدينا وقتا فقد شارك الله تعالى في علمه وادَّعى أنّه ظهر على سرِّه..»[٣٦].

وهذه الرواية من أشد الروايات بيانًا وإفصاحًا عن دلالة السّاعة على الإمام المهديّ عجل الله فرجه ليس في آية واحدة بل فيما لا يقل عن سبع آيات.. وعلى وفق ضابطة منهجية في منهج المدونة المغلقة، تقول بواحدية الدلالة القرآنيّة التي تعني أنّ اللفظة المعينة تستعمل بالدلالة نفسها أينما استعملت في القرآن الكريم وهي ضابطة ستظهر حتما في **مَبْدَأ عَدَمِ الِافْتِرَاقِ**، سيكون استعمال الإمام لها بهذه الدلالة حصرًا في كلّ موارد الساعة، سواء في بيان لآيات القرآن أو في كلّامه عنه في غير القرآن.

٣- قال تعالى: ﴿وَمَا يُدرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۞ يَستَعجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشفِقُونَ مِنهَا وَيَعلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ {الشورى١٧-١٨} قال الإمام الصادق عليه السلام: «أي الساعة قيام القائم عليه السلام قريب»[٣٧].

٤- وأيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله: ﴿أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ {الشورى/ ١٨}؛ قال: يقولون متى ولد، ومَن رآه، وأين هو، وأين يكون؟ ومتى يظهر؟ كلّ ذلك استعجالًا لأمرِ الله وشكًّا في قضائه وقدرته ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ {هود/ ٢١}»[٣٨].

٥- قال تعالى: ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرسَاهَا قُل إِنَّمَا عِلمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَت فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ لا تَأتِيكُم إِلَّا بَغتَةً﴾ {الأعراف١٨٧} عن دعبل الخزاعي قال: أنّشدت مولاي عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قصيدتي الّتي أوّلها:

مدارس آيات خلت من تلاوة		ومنزل وحي مقفر العرصات

فلمّا انتهيت إلى قولي:

خروج إمامٍ لامحالة خارج		يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كلّ حق وباطل		ويجزى على النعماء والنقمات

بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديداً، ثمّ رفع رأسه إليَّ فقال: «يا خزاعي نطق روح

القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام؟ ومتى يقوم؟ فقلت: لا يا مولاي إلّا أنّي سمعت بخروج إمامٍ منكم يطهّر الأرض من الفساد ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً. فقال: يا دعبل الإمام بعدي محمّد ابني، وبعد محمّد ابنه عليّ، وبعد عليّ ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم المنتظر في غيبته، المطاع قي ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله عزّوجلّ ذلك اليوم حتّى يخرج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وأمّا متى، فإخبارٌ عن الوقت فقد حدّثني أبي..عن آبائه عليهم السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: مثله مثل السّاعة الّتي لا يجلّيها لوقتها إلّا هو ثقلت في السماوات والأرض لا يأتيكم إلّا بغتة»[٣٩].

٦- قال تعالى: ﴿هَل يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأتِيَهُم بَغتَةً وَهُم لاَ يَشعُرُونَ﴾ {الزخرف٦٦}. عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل ﴿هَل يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأتِيَهُم بَغتَةً﴾ فقال عليه السلام: ﴿هي ساعة القائم تأتيهم بغتة﴾[٤٠]. وعن الإمام الباقر عليه السلام وقد سأله الكميت: متى يقوم الحقّ فيكم، متى يقوم مهديّكم؟ قال عليه السلام: «لقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك، فقال: إنّما مثله كمثل السّاعة لا تأتيكم إلّا بغتة»[٦].

٧- قال تعالى: ﴿اِقتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ القَمَرُ﴾(القمر١) في تفسير القمّي[٤١]، وروي أيضاً في قوله ﴿اِقتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ قال: «خروج القائم عليه السلام». وليس في انشقاق القمر ما يدلّ أنّ هناك انهياراً للنظام الفلكي، بل من الملاحظ أنّ حدث أكثر من مرة منها ما كان بطريقة إعجازية عندما طلب مشركو قريش ذلك.. ومرة جرى بلا معجز كما يفهم من الحديث الآتي: «حَدَّثَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ

رَسُولِ الله ﷺ شَقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اشْهَدُوا»(٤٢).

٨- وعن أبي جعفر عليه السلام فيقول الله عزّوجلّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم**﴾ {النساء/ ٥٩}. قال: «الأئمّة من ولد عليّ وفاطمة عليهما السلام إلى أن تقوم السّاعة»(٤٣).

٩- وفي التوحيد للصّدوق: عن الباقر عليه السلام في حديث له في تفسير الآية، قال فيه: (**نُورٌ عَلى نُور**) يعني إماماً مؤيّداً بنور العلم والحكمة في إثر إمام من آل محمّد (عليهم السّلام). وذلك من لدن آدم إلى أن تقوم السّاعة، فهؤلاء الأوصياء الَّذين جعلهم الله عزّ وجلّ خلفاء في أرضه وحججه على خلقه، لا تخلو الأرض في كلّ عصر من واحد منهم»(٤٤).

١٠- وروي عنه ﷺ: « .. إذا سمعتم بجيش قد خسف به قريباً فقد أظلت الساعة».

ومن المعلوم أنّ جيش الخسف هو جيش السفياني يخسف به عندما يتوجه من المدينة نحو مكة للقضاء على الإمام المهديّ عليه السلام. وفي ذلك أخبار كثير، فالخسف علامة من خمس علامات أساس لقيام القائم (عجّل الله فرجه) من ذلك: « تفسير القمّي في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿**وَلَوْ تَرى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ**﴾ قال: من الصوت وذلك الصوت من السّماء وقوله: ﴿**وَأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ**﴾ قال: من تحت أقدامهم خسف بهم»(٤٥).

١١- «عن ابن– سنان عن أبي السائب قال: قال أبوعبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام: « الليل اثنتا عشرة ساعة، والنهار اثنتا عشرة ساعة، والشهور اثنا عشر

شهرا، والأئمة اثنا عشر إمامًا، والنقباء اثنا عشر نقيبًا، وإنّ عليّا ساعة من اثنتي عشرة ساعة، وهو قول الله عزّ وجلّ: « ﴿**بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا**﴾ {الفرقان/ ١١}»[٤٦].

فهذا الحديث يحيلنا إلى ارتباط النظام الإداريّ للأرض بتصنيف زمنيّ، وعلى ذلك تنتظم أمور الدين والعباد قال تعالى: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ الله اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ الله يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ**﴾ {التوبة/ ٣٦}.

إذ يلحظ جليّا استعمال (**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**)[٤٧]في إشارة إلى أنّ تنظيم الشهور، على هذا النّحو مرتبط أصلًا بخصائص التّوحيد ونبذ الشرك نظريًّا وعمليًّا، وهو ارتباط عميق، يأخذ فيه عنصر زمن مساحة مهمّة.. وعلى ما يبدو فإنّ إطلاق لفظة السّاعة على الإمام منسجمٌ مع الاعتبار القرآنيّ للزّمن وأثره في عقيدة التّوحيد.

خاتمة البحث:

تنحو النصوص المذكورة آنفاً إلى تأكيد ما خرج به البحث القرآني في دلالة السّاعة كونها على الإمام المهدي (عجل الله فرجه)لا على يوم القيامة.. ويبدو أنّ الذهاب بالسّاعة إلى الدّلالة على يوم القيامة هو جزءٌ من القول الاعتباطيّ المفتقِر إلى الدّليل، ولأسباب كثيرة انحسر القول بأنّ الإمام المهديّ عجل الله فرجه هو السّاعة لارتباطه بالإمامة الدينية للعترة الطاهرة، التّي اتّخذتها السّلطات الأمويّة والعباسيّة والعثمّانيّة، وفيما بين ذلك كثير من السّلاطين والأُمراء خصومًا تاريخيّين.. ما أدّى إلى غياب هذه الدّلالة في تفسير القرآن بل غُيّبت هذه الدلالة عند أتباعهم المتمسكين بحديث الثّقلين. ولم يكن الأمر مقتصرًا على السبب السّلطويّ بل تعدّاه إلى التّصورات الّتي حكمت المنظومة التّفسيريّة، وما أنّتجته من علوم للقرآن، وأيضا حكمَتْ المنظومة اللغويّة بآليتي الترادف والمشترك، ليس على المستوى الدلاليّ فحسب بل على المستوى اللغويّ والتداوليّ عمومًا.

ولو أعدنا بناء تصوراتنا من جديد ولا سيّما في المنظومة التّفسيريّة لظهر لنا الوجه الّذي يعمل فيه القرآن على توظيف اللغة لطرح ما يريد في آياته من هدى.

إنّ فكرة الزّمن وهيمنته على الإنسان في مجمل حركته وتنقلاته ووعده ووعيده لتُلقي بظلالها في تسويغ هذا الاستعمال القرآنيّ بالانتقال بلفظة الساعة من حقل الزمن إلى حقل العلميّة لتكتسب خصوصيّة الإطلاق عبر تلك التقنيّة اللغويّة في أداة التعريف (أل) فتصبح (السّاعة) عَلَمًا على الشّخص الذي على يديه

يجري الحسم وتحقيق الوعد والوعيد في حقبة من الزمن لا بدّ أنّها ستأتي.. وهو أمر ليس بالغريب فإحداث تطورات دلاليّة يمارسها الإنسان في سلوكه عندما يعمد إلى وضع حقبة أو فاصلة زمنية لتحقيق أمر ما أو بداية لمرحلة جديدة من حياته الشّخصيّة أو علاقاته مع الأصدقاء أو الخصوم، فتصبح تلك اللحظة مركزيّة في تعامله مع كثير من الأمور التي قبلها وتلك الّتي بعدها.

ولو تأملنا في هذا المنزع في إحداث تطورات دلاليّة للمنظومة اللغويّة الجديدة التي صيغ عليها القرآن الكريم سنجده في أكثر من مورد فعلى سبيل المثال سنجده (أل) في الحج وفي الزكاة والجهاد وغيرها.

الهوامش:

١- ألقي البحث في المؤتمر العلمي الثامن عشر لكلّية التربية/ الجامعة المستنصرية/ ٢٠١١. ونشر فيما بعد بمجلة كلّية التربية بعدد خاص ببحوث المؤتمر، وأُعيد نشره مع تعديلات في الصياغة وبعض الزيادات بمجلة والقلم التابعة للوقف الشيعيّ العدد ٢٤ السنة السادسة/ ٢٠١٢.

٢-منهج المدونة المغلقة:٢١٨، وينظر: السَّاعَةُ فِي الْقُرآنِ الْكَرِيمِ دِراسَةٌ دَلالِيَّةٌ فِي ضَوْءِ مَنْهَجِ الْمُدَوَّنَةِ الْمُغْلَقَةِ.

٣- السَّاعَةُ فِي الْقُرآنِ الْكَرِيمِ دِراسَةٌ دَلالِيَّةٌ فِي ضَوْءِ مَنْهَجِ الْمُدَوَّنَةِ الْمُغْلَقَةِ:١١.

٤- منهج المدونة المغلقة:٢١٨.

٥- منهج المدونة المغلقة:٨٢.

٦- تفسير ابن كثير:٧ / ٢٠١. حديث الثقلين من الأحاديث التي اشتهرت لدى علماء المسلمين وذكر أسد حيدر في(جعفر الصادق والمذاهب الأربعة) وقفة مفصّلة في الجزء الأول ابتداء بالصفحة ١٠١ وما بعدها نذكر منه « أخرج مسلم في صحيحه من طريق زيد بن أرقم خطبة النبي(ﷺ) يوم الغدير وقوله (ﷺ) فيها: وأنّا تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى و النور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثمّ قال وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي (صحيح مسلم٧/ ١٢٢.)

وأخرج الترمذي عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله (ﷺ). (إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما (سنن الترمذي ج٢ ص٣٠٨).

وأخرجه أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ﷺ):(إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (مسند أحمد ج٢ ص١٤ ط١).

وعن أبي سعيد أيضا عن النبي (ﷺ) قال: إنّي أوشك أنّ أدعى فأجيب وإنّي تارك فيكم

الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فانظروا بم تخلفوني فيهما؟ (مسند أحمد ج٢ ص١٧- ٢٦) ورواه البغوي في مصابيح السنة (ج ٢ ص٢٠٤) والقاضي عياض في الشفاء."

ولا أقل من كونه متواترًا تواترًا معنويًا. قال في (أصول التفسير والتأويل:١١٩): ((**هذا الحديث يكاد يكون متواترًا بل هو متواتر إذا لوحظ مجموع رواته من الشيعة والسنة في مختلف الطبقات... وحسب الحديث لأن يكون موضع اعتماد الباحثين أن يكون من رواته كلّ من صحيح مسلم، وسنن الدارميّ، وخصائص النسائيّ وسنن أبي داود وابن ماجة ومسند أحمد وكنز العمال، وغيرهم وان تعنى بروايته كتب المفسرين أمثال الرازي والثعلبي والنيسابوري والخازن وابن كثير وغيرهم، فضلاً عن كثير من كتب التاريخ واللغة والسير والتراجم**)).

٧-المعجم الوسيط:١/ ٤٢.

٨- لقد كثرة الروايات الخاصة بالمهدي وأحداث الملاحم والفتن حدا بلغ التواتر المعنوي، وبلغت الأحاديث في هذا المجال على اختلاف أحوالها في السند ألفي حديث، على ما ذكر في معجم أحاديث المهدي عليه السلام ويشمل ذلك كتب المسلمين عامة. وقد كان الاهتمام بالمهدي وما يتعلق به في أحاديث الأئمة من أهل البيت (عليه السلام) بارزا، لكونه الإمام الثاني عشر عند الشيعة الإمامية وهو خاتم الأئمة. وعلى العموم فإنّ القول بالمهديّ في آخر الزمان يمثّل عقيدة من عقائد الإسلام ولها حضور بارز عند مختلف الفرق الإسلامية على مر عصورها المختلفة. وقد قامت الهيئة العلمية في مؤسسة المعارف الاسلامية بتتبع أحاديث الملاحم والفتن، وأخبار المهديّ (عجل الله فرجه) فأخرج بخمسة أجزاء معجمه المعروف بـ(معجم أحاديث المهدي عليه السلام).

٩- الظاهر أنّ لفظة القيامة استبدلت بالساعة، والتحريف واضح فبداية الحديث ظاهرة بيّنة على أشراط الساعة ومن حرّفها لما أشيع من أنّ الساعة هي القيامة؛ أو أنّها مصحف عن لفظة القائم، وهو الاسم الذي يطلقه أهل البيت وشيعتهم على المهديّ عليه السلام.

١٠-تفسير القمّي:٢/ ٢٧٩-٢٨١. وينظر: معجم أحاديث الإمام المهدي (عليه

السلام):٢/ ٢١٨.

١١- كمال الدين:٢٨٧-٢٨٨. وينظر: الحكومة العالمية للإمام المهدي في القرآن والسنة:٣٢.

١٢- مسند أحمد (شعيب الأرناؤوط)٣/ ٣٧.

١٣-صحيح البخاري:٢/ ٣٣.

١٤- صحيح البخاري:٢/ ١٠٨.

١٥- صحيح البخاري:٣/ ١٣٦.

١٦- صحيح البخاري:٤/ ٤٣.

١٧- صحيح البخاري: ٤/ ٢٠٠.

١٨- صحيح البخاري:٦/ ٥٨.

١٩- صحيح البخاري:٨/ ١٢٣.

٢٠- صحيح مسلم:٤/ ٢٢١٥.

٢١- صحيح مسلم:٤/ ٢٢٢٥.

٢٢-مسند أحمد:٥/ ٨٩. لا غرو من أن تسمية البيت الأبيض تثير في النفس التوجه نحو أبرز السياسات المعاصرة التي يدبرها البيت الأبيض الأمريكيّ، الذي قد يدل عليه ما ورد في الحديث أكثر من تعلقه ببيت كسرى الذي انقرض.

٢٣- مسند أحمد:٢/ ٣٣٢.

٢٤- مسند أحمد:١/ ٣٧٦

٢٥- مسند أحمد- تعليق شعيب الأرناؤوط:١/ ٣٧٦.

٢٦-الفتن لنعيم بن حماد:١/ ٣٠.

٢٧- الفتن لنعيم بن حماد:١/ ٢٤٣.

٢٨- الفتن لنعيم بن حماد:١/ ٢١١.

٢٩- الفتن لنعيم بن حماد:١/ ٣٠٥.

٣٠- سقوط الفخّارة فرجٌ لأمّة محمّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بحث في علامات اليوم الموعود (بقسمين).

٣١- الفتن لنعيم بن حماد:٢/ ٦٣٣.
٣٢- الفتن لنعيم بن حماد:١/ ٢١١.
٣٣- الفتن لنعيم بن حماد:١/ ٢٤٣.
٣٤- الكافي ١ / ٤٣١، ح ٩٠.
٣٥- مسند أحمد ت شاكر:٣/ ٤٩٩، ح3583-حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِقَّتَيْنِ، حَتَّى نَظَرُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: اشْهَدُوا.
أقول: إذن وقوع هذا الأمر قبيل الظهور متصور وليس بممتنع، ومن ثمّ لا حتميّة في القول بأنّ هذه الآية تعني الفناء وزوال الدنيا.
٣٦-مختصر بصائر الدرجات:١٧٩. والرواية في الهداية الكبرى للخصيبيّ:٢/ ٦٦٠-٦٦١.
٣٧- ينابيع المودّة لذوي القربى:٣/ ٢٥١. وينظر: الحكومة العالمية للإمام المهدي في القرآن والسنة:١١٦.
٣٨- الهداية الكبرى للخصيبي:٢/ ٦٦١. وينظر: الحكومة العالمية للإمام المهدي في القرآن والسنة:١١٦.
٣٩- كمال الدين:٢/ ٣٧٢، وينظر: عيون أخبار الرضا:٢/ ٢٩٧.
٤٠- تأويل الآيات الظاهرة:٢/ ٥٧١. وينظر: الحكومة العالمية للإمام المهدي في القرآن والسنة: ١١٩.
٤١- تفسير القمّي:٢/ ٣١٨. وينظر: الحكومة العالميّة للإمام المهديّ في القرآن والسّنة:١٢٥.
٤٢- الفتن لنعيم بن حماد:٢/ ٦٠٣. وينظر: منه٢/ ٦٠٢، عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: «سَأَلَ أَهْلُ مَكَّةَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ آيَةً، فَانْشَقَّ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ مَرَّتَيْن».
٤٣- كمال الدين:١/ ٢٢٢، وينظر: الحكومة العالمية للإمام المهدي في القرآن والسنة:٣٥.
٤٤-التوحيد للصدوق:١٦٨.
٤٥- بحار الأنوار:٥٢/ ١٨٥-١٨٦. وينظر: تفسير القمّي:٢/ ١٨٠.
٤٦- الغيبة للنعماني: ٨٥، وينظر :٨٤.

٤٧- استعمل هذا التركيب في موردين آخرين:
= مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لله أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ {يوسف/ ٤٠}
=﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ الله الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِّ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ {الروم/ ٣٠}.

المصادر والمراجع:

١. **القرآن الكريم**

٢. السّيد كمال الحيدريّ، أصول التفسير والتأويل، مقارنة منهجية بين آراء الطباطبائي وأبرز المفسّرين، منشورات دار فرقد، مطبعة ستاره، ط٢، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣. أسد حيدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة،دار الكتاب الإسلامي، مطبعة ستار إيران، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٤. العلاّمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسيّ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٥. السيد شرف الدين الإسترآبادي،تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم،ط١، ١٤٠٩هـ

٦. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمّ الدمشقي (ت٧٧٤هـ)،تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٧. أبو الحسن علي بن إبراهيم القمّي (من أعلام ق٣) تفسير القمّي، لجنة التحقيق والتصحيح بالمؤسسة/ منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩١م.

٨. الشيخ الصدوق،التوحيد، أبو جعفر، محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمى(٣٠٥هـ-٣٨١هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، ط٢، ١٣٩٨ هـ.

٩. محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السّلميّ،الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون الناشر: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

١٠.محمود شريعة زاده الخراساني،الحكومة العالمية للإمام المهدي عليه السلام في القرآن والسنة، الناشر: باسدار إسلام طهران، ط١٣٨٣،١هـ .ش.

١١.السَّاعَةُ فِي الْقُرآنِ الْكَرِيمِ دِراسَةٌ دَلالِيَّةٌ فِي ضَوْءِ مَنْهَجِ الْمُدَوَّنَةِ الْمُغْلَقَةِ: بحوث المؤتمر العلمي الثامن عشر لكلّية التربية، الجامعة المستنصرية،٢٠١١. مجلة كلّية التربية (عدد خاص ببحوث المؤتمر). وأُعيد نشره مع تعديلات والزيادات بمجلة والقلم التابعة للوقف الشيعيّ العدد ٢٤ السنة السادسة/ ٢٠١٢.

١٢.د.حسن عبد الغني الأسديّ،سقوط الفخّارة فرجٌ لأمّة محمّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بحث في علامات اليوم الموعود، مركز الشهيدين الصدرين للبحوث والدراسات بقسمين ملحقين، مجلة سبيل، ع٦، بغداد،٢٠٠٧م.

١٣.محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلّى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٤. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)،صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

١٥. أبو جعفر الصّدوق محمد بن علي بن الحسين بابويه القمّي (ت٣٨١هـ) عيون أخبار الرضا، صحّحه وقدّم له، الشيخ حسين الأعلميّ، منشورات مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت. د.ت.

١٦. أبو عبد الله محمّد بن إبراهيم بن جعفر، ابن أبي زينب النعمانيّ،الغيبة، من أعلام القرن الرابع، تحقيق: على أكبر الغفاريّ.

١٧. أبوعبد الله نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي المروزي (ت٢٢٨هـ)،الفتن، المحقق: سمير أمين الزهيري، الناشر: مكتبة التوحيد القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.

٨١. الكافي، الكلّينيّ (ت٣٢٩هـ)، النّاشر: دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط٤، ١٣٦٥ه.ش.

١٩. الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي(٣٨١هـ-٣٠٥هـ)،كمال الدين وتمام النعمة، الناشر: دار الكتب الإسلامية قم، ط٢، ١٣٩٥هـ.

٢٠. حسن بن سليمان الحلي ، مختصر بصائر الدرجات، (من علماء أوائل القرن التاسع)، ط١، منشورات المطبعة الحيدريّة، النجف، ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م.

٢١.مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني،(ت٢٤١هـ)، المحقق: السيد أبو المعاطي النوري، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٢.مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.

٢٣.معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام/ الهيئة العلمية في مؤسسة المعارف الإسلامية نشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، المطبعة بهمن، ط١/ ١٤١١هـ.

٢٤.المعجم الوسيط، لجنة من الأساتذة من مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة، مكتبة الشروق الدوليّة، ط٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٥٢. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم،منشورات ذوي القربى، مطبعة أميران، إيران، ط٢، ١٤٢٣هـ-١٣٨١هش.

٢٦.منهج المدوّنة المغلقة مباحث تأسيسيّة لتفسير القرآن بالقرآن، مطبعة الرافد، ٢٠١٧م.

٢٧.الإمام أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، النهاية في الفتن والملاحم، ضبطه وصححه: عبده الشافعيّ النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢٨.أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي(ت٣٤٦هـ)،الهداية الكبرى، تحقيق:

الشيخ شوقي الحداد، مؤسسة الراج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،ط٣، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٢٩.سليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ(١٢٢٠-١٢٩٤ه)،ينابيع المودّة لذوي القربى، المحقّق: سيد علي جمال أشرف الحسينيّ، دار الأسوة للطباعة والنّشر، مطبعة أسوه، ط١، ١٤١٦هـ.